التشكيل الحداثي في رواية الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء (جمالية توظيف أدوات التخييل السياسي)

The Modernist Structure in the Novel of the "El wali Al-Tahir yarfaa yadayh bidooa" (The Aesthetic Employment of Political Imaginative Tools)

الدكتورة حورية بكوش

قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة العقيد أحمد دراية أدرار

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

houriabekkouche@univ-adrar.dz

ABSTRACT

The novel "El wali Al-Tahir yarfaa yadayh bidooa" **(**Wali Salih raises his hands and prying) with supplication is a model for the political fiction novel, and no scholar denies the ideological and political dimension of the political discourse. in this novel, which is considered the third in its group, the candle and corridor. "Al-wali al-Salih returns to his maqam al-zaki" - a pioneering attempt by the late novelist Al-Taher Wattar to foresee the Arab tomorrow by employing masks and tools that distanced his text from the statement and copying the political discourse as it is or will be. this study will attempt to identify the aesthetics of these tools that are employed in an artistic way that i want to make the novel a form of fantasy that can be called a political fantasy as it - meaning the novel - that employs metaphorical mechanisms for social, political, and ideological facts. attempt to answer a fundamental question: have the aesthetic tools, especially

intertextuality, succeeded in making the novel out of the style of the ideological political novel to the political fiction novel?

Keywords: Wali Salih, Novel, The Modernist Structure, metaphorical mechanisms.

مقدمة

يعدّ الخطاب الروائي الوطاري بصمة بارزة في ديوان السرد الجزائري والعربي، إذ استطاع وطار أن يجعل من المضامين الاجتماعية والسياسية بكل تحولاتها وصراعاتها مادة روائية مباغتة تحاول أن لا تكشف الحجب عن المحمول الإيديولوجي والسياسي كشفا سافرا فجّا، لا سيما في ثلاثيته الأخيرة؛ إذ يستند على توظيف معالم أخرى، مختفيا وراء العناوين، والأساطير والأجواء الصوفية واردا معين التراث العربي والشعبي وحتى العالمي، واعتماد المراوغة الفكرية. مجنّبا رواياته التسيّس الواضح ووضعها قاب قوسين أو أدنى مما يعرف برواية التخييل السياسي.

و بين الرواية السياسية ورواية التخييل السياسي فرق تكفله الأدوات الفنية التي يتخذها الروائي متكأ في تخييله السياسي ويتخلى عن أغلبها وبمحض إرادته في الرواية السياسية.

ذلك أنّ تضييق هامش الحريات الفردية وتهالك الحقوق المدنية والسياسية وانحسار الرأي الآخر في مجتمع ما، يجعل الروائي يعتمد التشفير والترميز وبث الأقنعة في نصوصه، بدل تعرية الدلالات ومن ثمة استفزاز السلطة.

ويمكن الجزم أن روايات التخييل السياسي حقّقت نجاحا كبيرا في التأثير على المتلقي العربي، كرواية الزيني بركات للغيطاني، ورواية فاجعة الليلة السابعة بعد الألف لواسيني الأعرج واستطاعت رواية التخييل السياسي أن تجعل الماضي يتماهى في الحاضر والتراث يندمج في الحداثة والغائب يلملم شظاياه ليبعث من جديد في الحضور، في صور مجازية .

وجعلت هذه الرواية المتلقي قارئا حصيفا ذكيا، ينشغل باستبطان الرموز وفضح الأقنعة بالبحث عن معادلاتها في واقعه الملغوم . فانتقل على متن الخطاب الروائي إلى كاشف عن

عيوب المجتمع واستبداد السلطة وطبائع المستبد . كل هذه الانجازات مرهونة بمهارة الروائي وقدرته على إحكام أدواته التخيلية

رواية الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء أنموذج لرواية التخييل السياسي ولا ينكر أي دارس البعد الإيديولوجي والسياسي للخطاب الوطاري.

في هذه الرواية التي تعدّ ثالثة الأثافي في مجموعته الشمعة والدهليز . والولي الصالح يعود إلى مقامه الزاكي –محاولة رائدة من الروائي الراحل الطاهر وطار في استشراف الغد العربي من خلال توظيف أقنعة وأدوات نأت بنصه عن التصريح ونسخ الخطاب السياسي كما هو أو سيكون.

ستحاول هذه الدراسة الوقوف على جمالية هذه الأدوات التي وظفت بشكل فني أريد به جعل الرواية شكلا من أشكال الفنتازية التي يمكن تسميتها فنتازيا سياسية كونها – أي الرواية – وظفت آليات مجازية لحقائق اجتماعية، وسياسية، وأيديولوجية. محاولة الإجابة عن تساؤل جوهري مفاده

هل وفقت الأدوات الجمالية لا سيما التناص في جعل الرواية تخرج من نمط الرواية السياسية المؤدلجة إلى رواية التخييل السياسي ؟

مفهوم رواية التخييل السياسي

المؤكد أن دعوات الفصل بين الواقع والحلم، وبين الروائي والسياسي وبين الواقع المعاش وخيال المبدع دعوات منيت بالفشل فالسياسة مثلا تصل إلى كل مناحي الحياة فلابد وأنّ وجودها مهما تضاءلت درجته في العمل الأدبي حتمي وأكيد.

بهذا المعنى يمكن أن تكون كل محاولة روائية هي صيغة من صيغ الممارسة السياسية، إذ لا تخلو رواية من صراع يحيل إلى مظهر من مظاهر السياسي، على اعتبار أن الإنسان ثوري بطبيعته بالنظر إلى أنه يحب الحياة، ويتفانى في الذود عن معناها الذي يعادل وجوده. وبهذا المعنى أيضاً يبدو البحث عن دليل ارتباط الرواية بالسياسة ضرباً من العبث التأويلى، فهي منزرعة بعمق في كل الفنون[١] .

وقريبا من هذا كان رد جورج لوكاتش على مقولة جوتفريد كيلر الروائي السويسري التي مفادها : كل شيء سياسة قائلا :(كل فعل وكل فكر وكل عاطفة من عواطف الإنسان ترتبط ارتباطا لا ينفصم بالحياة وبصراعات المجتمع، أي ترتبط بالسياسة سواء أكان البشر أنفسهم واعين بذلك، أو غير واعين به، أو يحاولون الهرب منه، فإن أفعالهم وأفكارهم وعواطفهم تنبع على الرغم من ذلك موضوعيا من السياسة وتنصب فيها)[٢] .

فمقولة أدب وسياسة ليست الجمع بين النقيضين والشتيتين بل هي العلاقة الوشائجية بين تفاعلين يشكل تقاربهما جنسا فنيا صار مثار جدل وساحة نقد وتمحيص . بيد أن التساؤل الذي قد يقحم نفسه في الحديث هو : أليس الجمال هو الخاسر الوحيد في زيجة السياسة بالأدب ؟

التواصل الحميم بين السياسة والأدب نأى به عن الانغماس والانغلاق في التجارب الشكلية أو الزخارف بعيدا عن أي تفاعل جماهيري، فلقد أصبحت السياسة محورا فكريا في الرواية المعاصرة، مهما تنوعت مواضيعها، وتعددت أبعادها الاجتماعية والواقعية، وجنحت إلى الحداثة الشكلية والتنويع الفني. فإن الرواية تعبر عن الأطروحة السياسية إما بطريقة مباشرة وإما بطريقة غير مباشرة[٣] .

لذلك نقول: إن السياسة حاضرة في كل الخطابات والفنون والأجناس الأدبية. وتتمظهر بجلاء ووضوح في فن الرواية التي تعكس نثرية الواقع وصراع الذات مع الموضوع والصراع الطبقي والسياسي والتفاوت الاجتماعي وتناحر العقائد والإيديولوجيات والتركيز على الرهان السياسي من خلال نقد الواقع السائد واستشراف الممكن السياسي.

يشير جميل حمداوي ضمنيا إلى تمظهر هذه العلاقة بين السياسة والأدب، فهي إما مباشرة سافرة تقدم الأحداث كما هي في الواقع بطريقة مباشرة أو عبر المرآة الجدلية لتصوير فظاعة هذا الواقع و فضاضته المأساوية باستعمال أسلوب سردي تقريري يقترب من أسلوب الأطروحة الشعارية، أو أسلوب الروايات الإيديولوجية الحرفية، ذات البرامج السياسية لقراءة الواقع الراهن المتردي على جميع المستويات، وبالتالي قد تفقد الجمال الفني وزنه.

غير أنه ليس من الضروري أن يبالغ الروائي في التماس المباشر مع قضية سياسية، ليحقق معادلة الانتماء الفعلي إلى الحركة التاريخية الاجتماعية، بقدر ما يفترض أن يقترب من القضايا الإنسانية، التي تعادل المعنى اليومي أو اللامباشر للممارسة السياسية، لتقوم روايته مقام الضمير(٤).

لعلنا نستجدي تعريفا للسياسة من خلال ما سبق أو لنقل علينا أن نحدد مدى تفاعل السياسة بالأدب أو لنركن إلى الرأي الصائب الذي يرى أن في التقاء السياسة بالأدب والرواية – باعتبارها خطابا سرديا نثريا ألصق بالحياة – يبرز نمطان أو لونان فنيان وهما : الرواية السياسية ورواية التخييل السياسي.

هذه الأخيرة التي هي مدار بحثنا.

والتي حام حولها جميل حمداوي في مقاله السابق:

إن التخييل السياسي يتعامل مع المادة السياسية من خلال الأقنعة الرمزية و الاستعارية، أي بطريقة غير مباشرة متكئا في ذلك على التاريخ و استنطاق التراث و الموروث الشعبي و صيغه اللغوية و الأسلوبية، مستهدفا بذلك الحوارية و الإسقاط والتماثل بين الماضي و الحاضر... كما أن لوحات التخييل السياسي متداخلة و أوعية متواصلة توحي كلها بأزمنة متقاطعة، وليس بزمن واحد محدد كما هو الشأن في الرواية السياسية التي تصور الظاهر و السطحي والمباشر. بينما التخييل السياسي يرصد الممكن والمحتمل و الباطن و اللاشعور السياسي و أمراضه و عقده السيكولوجية، وانعكاسات كل ذلك على شخصيات الرواية من خلال صيغ أسلوبية كالمقارنة، و المعارضة، و السخرية، و الباروديا، واللعبية و المحاكاة الساخرة.

ويستند التخييل السياسي إلى التوهيم و مخادعة المتلقي، وتخييب أفق انتظاره و تضليله بصدق المعطى و تشويق القارئ بحقيقته الواقعية لتدارك تعذر الخبر أو عجز الروائي عنه و تزيين الحكاية المروية. (٥)

يعدّ هذا التعريف أرضية لكل باحث عن رواية التخييل السياسي ويمكن رصد معالم التخييل السياسي انطلاقا من هذا المقبوس:

- تستند رواية التخييل السياسي على جماليات أدواتها المستعملة كالأقنعة والرموز والاستعارات مبتعدة عن كل طرح شعاري ايديلوجي او خطابية سجالية.
- رواية التخييل السياسي اعتمدت محاورة التاريخ بإسقاطه على الحاضر في جدل فني واضح بين الماضي والحاضر .متحررة من قيد اللهاث خلف الأحداث والمرحلية كما الشأن في الروايات السياسية
- الفجوة الفنية التي تركتها الرواية السياسية أو لنقل البياض الحائر حاولت رواية التخييل السياسي ملأه وتسويده فنيا بطرح الممكن والمحتمل والباطن واللاشعور.
- اعتمدت رواية التخييل السياسي على أسلوبية مغايرة ارتكزت على المقارنة والمعارضة والسخرية والتهجين والفنتازيا ومباغتة المتلقي.

قد يلتبس الأمر على المتلقي حين يقارب الخطاب الوطاري أهو خطاب سياسي مؤدلج فج ينضوي تحت مسمى الرواية السياسية وبالتالي الحكم على مسيرته السردية بأنها سجلات سياسية مهربة في قالب نثر؟ أم أنها روايات تخييل سياسي لعبت على أحابيل كثيرة نأت بها عن التقريرية والشعارية والأدلجة السافرة لتحيلها إلى قطع تعكس الواقع المعاش في صورة جمالية تكفلت وسائل عديدة في إبرازها وتفردها .؟

إذا طالعنا أراء بعض النقاد والدارسين وجدناهم ينتصرون إلى الرأي الأول فيجعلون من كتاباته سياسية كما حصل مع جميل حمداوي في مقاله السابق.

ويصفه ناقد آخر قائلا:

والحقيقة أن وطار ونظرا لشدة ايمانه بتوجهه الإيديولوجي وبفكره وقناعاته الإيديلوجية فإنه كثيرا ما يقع في مزالق، وهذا يأتي من كون الأديب يحرص كل الحرص على إيصال خطابه للقاريء قبل حرصه على فنية العمل الأدبي. [٦]

أما الناقد الأول فرأى أنّ خطابه – أي وطار – سياسي محض . عدّه كذلك وعدّ روايات الغيطاني وبنسالم حميش ومبارك ربيع، بأنها روايات تخييل سياسي بحجّة أنها استغلت الموروث السردي الفلسفي والتاريخي والأسطوري . أعتقد أن هذا الرأي قد يكون صائبا ما لم ينسحب على ثلاثيته الأخيرة التي اخترنا منها ثالثة الأثافي كمادة للبحث في هذه المداخلة وأقصد رواية الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء .

في حين تعامل الناقد الثاني مع الموروث الوطاري بحذر، وقال إنه وقع في مزالق دون أن ينفي الفنية تماما عما كتب . ولعل وطّار كغيره من الساردين يواجه متغيرات أسلوبية مختلفة فمرة يكون شاعريا عميقا ومرة يكون سطحيا عابرا .

ومؤكد أنّ النص السردي أكثر حساسة من أي جنس أدبي آخر في التعرض للمتغيرات الأسلوبية، ذلك بسبب طوله والتصاقه بالواقع. والتقرير أحيانا قد يصبح مخيبا لأفق انتظار المتلقي ويباغته في عقر تماهيه في شاعرية النص فيحدث خلخلة أو منزلقا، لكنه يمنح النص تأشيرة رجوع إلى طينة الواقع . ويمنح السارد مقعدا في حركية التاريخ.

استلهام التراث التاريخي والصوفي كأقنعة للمشهد الروائي

إنّ المطلع على هذه الرواية مبحر في ثقافة وطّار الواسعة مقبل على فكّ شفرات لأقنعة مبثوثة في متحف نصه التاريخي الصوفي السياسي الفني وأول ما يواجهه عنوان غريب: **الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء.**

فيتخيل مشهدا لولي وهو يرفع يديه داعيا وينتظر أن يعرف من الداعي وما فحوى دعاءه؟ وما دافعه للدعاء ؟

تدل هذه العتبة النصية على الفضاء الحكائي ومناخاته االعقائدية والأيدلوجية فالجو إسلامي، يؤشر عليه الدعاء على ذلك والأحداث متأزمة مستمرة فالولي لا يزال يرفع يديه بالدعاء .

ثم الولي مفردة صوفية تحمل معنين:

أولا هو اسم من أسماء الله الحسنى وهو : (المحب للأولياء الناصر للأنبياء هو الذي تولى شؤون العباد فأوصلهم الى غاية المراد، وولاية الله لأحبابه أزلية وعنايته بهم أبدية)[٧] وكذلك الولي هو العبد :

(العبد الذي يتولى الله سبحانه وتعالى أمره فلا يكله إلى نفسه لحظة،ومن يتولى عبادة الله تعالى وطاعته فعبادته تجري على التوالي من غير أن يتخللها عصيان[٨]) فالولي انطلاقا مما سبق شخص تقي منقطع لله، وهو علامة في النص على الحس الصوفي الذي تختزنه الرواية في تقاطيعها . ولا مجال للشك والطاهر وطار يقر في مقدمة الجزء السابق لهذه الثلاثية بقوله:

(سيجد القاريء الذي ليس له ثقافة تراثية عموما نفسه مضطرا إلى مراجعة بعض المفردات والمصطلحات كما قد يجد صعوبة في العثور على رأس الخيط وعذري أنني حاولت تقديم ملحمة وليس فقط قصة [٩]) لذلك يمكن القول أن السرد جاء محملا بأقنعة تراثية تاريخية إسلامية ممثلة في شخصيات تمرد الروائي على حقيقتها ليوظفها حسب الخيط الذي تعذر علينا حينا امساكه .

كما وظف أحداثا تاريخية إسلامية وظفها بشكل حواري تصحيحي . وتسربل في روايته ككل بفكر صوفي جعلنا نعبر نصه إلى مقامات الصوفية ومناخاتها أما العلامات الدالة على كل ما ذكرت فتمثلت عموما في النقاط العريضة التي رسمها محمد مفتاح للحكم على أي كتابة أنها صوفية قائلا :وإذا اجتمعت تلك الأركان جميعها في أية كتابة، فإنها حينئذ تكون جنسا نقيا والأركان هي: ١-الغرض المتحدث عنه ٢-المعجم التقني ٣-كيفية استعماله ٤-المقصدية[١٠].

ولو تقفينا سيميائية هذه الأركان لبدت واضحة في النص الذي بين أيدينا؛ فأغراض متعددة للنص لا تنفك عن اهتمامات النص الصوفي المفتوح على السياقات التاريخية، والتراثية، والاجتماعية كالعقم العربي،وضياع الأنا، والواقع المأزوم الموبوء والتاريخ المكبل بالخطايا والأخطاء .و المعجم التقني الذي يعد ركنا لبناء خطاب صوفي فتجلى في وضوح، لاسيما في

بعض الجمل التي شكلت بؤر توتر أسلوبي ونقطة وجع دائم كقوله : ياخافي الألطاف نجنا مما نخاف واستعماله االتيمات الصوفية العدد سبعة الكرامات ..العبادات ..الدعاء ..الغربة .

والحق أنه استثمر أسلوب الحكي الصوفي لغويا فضلا عن استعماله فضائيا ذلك أن العجائبية التي وسمت النص والتي تعد وسيلة لخرق الثابت والنمطي في بناء المحكي منحت النص تأشيرة لعبوره نحو التخييل والتجريب الروائي فمن أنسنة الأشياء، إلى اللازمن فالزمن في الرواية زمن صوفي لا يسير في خط زمني تعاقبي، وإنما تتداخل فيه الأزمنة، حيث يرى الولي الطاهر الكل في لمحة واحدة، واللامكان فالمكان فيف لا نعرفه، ومقام لا يحده بصر ولا يقبل القياس، بيد أنه اختير كفضاء حكائي بذكاء فني، إذ أن حالة الولي الصوفية قد تطلبت من الكاتب أن يتخذ له مكانا يوافق نفسيته وحالاته الصوفية والمتمثلة في المقام، وخاصة الطابق السابع خلوته الروحية، وهي محاولة فنية من الكاتب للإشارة إلى حالة الانعزال والتقوقع الذي أصبح عليه الإنسان العربي، الذي لم يعد يحرك ساكنا من أجل التغيير.

والشخصيات العجائبية كالبطل الأساسي الولي الصالح فالكاتب بتقنياته الكتابية الذكية لم يجعل وليه صوفيا مائة بالمائة، وإنما تشظت دلالات وصفات الولي أو الولاية مما جعل البطل عجيبا فريدا ..بهذه العناصر يتأثث هذا النص الوطاري .

والحديث عن كيفية استعمال الأغراض نعده ركنا أساسا في الحكم على صوفية المحكي فالعجائبي والتخييل وخلق عوالم جديدة تتركب من مزيج بين عالم خيالي حالم فنتازي وواقعية مستحيلة وواقعية محتملة هي شهوة الحكي الصوفي فمن بولزمان الذي يصحب أتانه العضباء الى بلارة بنت المعز[١١] التي يتقاسمها عالم الواقع الذي كان،مع عالم الحلم الذي أرداها جنية.

إنه استنطاق ذكي للتراث بمحاورته والتحايل على سطوته وتوظيف عناصره توظيفا رمزيا فقد تكون بلارة الشرف العربي ونخوته الذي مرغناه بشهوتنا وبفتننا ثم نحاول جاهدين كما يحاول الولي الطاهر استرجاعه وقد تكون هي الفتنة أحسن تصويرها بامتزاج الخير والشر فيها وغوايتها وانتشارها ...

وكان استرجاع الحدث التاريخي مقتل مالك بن نويرة من قبل خالد بن الوليد هو وفاء للموروث ثم التخفي بقناعه للحديث عن فتنة من يقتل من في عالمنا العربي ..

إنّ الطاهر وطار في نهاية المطاف لم يعرض الفكر الصوفي كهدف عام في الرواية، بل اتخذه أقنعة من أجل تعرية مجموعة من القضايا الاجتماعية والسياسية المسكوت عنها، فهو في هذا الصدد يقول:

" يصعب أن نجعل من الواقع الحي واقعا فنيا... وقد كانت مغامرة مخيفة من جانبي خرجت منها سالما والله أعلم" وهذا ما نلمسه في كتابة "وطار" الأخيرة فقد كانت روايته الأخيرة مغامرة مخيفة تطلبت منه حياته قربانا للعبارة الصادقة. ولم يكتف الكاتب بهذه الكتابة الصوفية عند هذا الحد، وإنما حاول من خلالها الدعوة إلى إحياء واقع جديد من خلال تلك الكتابة الحدسية، وهي استشراف لما سيأتي وهذا ما يظهر بجلاء في مضمون الرواية المتمثل في جفاف بترول العرب، وتحول لباسهم الأبيض الى لباس أزرق الذي يدل على العمل، ليفقد هذا العالم العربي استراتيجيته، وتعود دابة الحياة من جديد من دون تدخل أية قوة في حياة العرب والمسلمين. فالكاتب بذلك كتب روايته في ظل سياق مستقبلي لحال العرب وهو في هذا الصدد كان يقول بأنه لا يكتب لفترة أو أشخاص بعينهم بل يكتب للحال وما هو آت ويكتب مجبرا ..ولعله مجبر تحت املاءات وطنيته

واستطاع الكاتب بذلك أن يصور من خلال تبني روايته للتجربة الصوفية ذلك الواقع المرير، إنه واقعنا المعيش من المحيط إلى الخليج، واقع مأساوي .

مقصدية الحكي الصوفي قد برزت هنا . فإن كان التصوف سلوكا ومنهجا يبغي به صاحبه الوصول الى افضل المقامات فالنص هذا محاولة الى أخذ العربي الى مدارج السالكين .

جمالية الأدوات الفنية المستغلة (التناص)

ظلّت أعمال الطاهر وطار ترزح بين فكي الرؤيا والتشكيل زمنا أتى فيه على الدارسين حينا من الدهر ظلم فيه الخطاب الوطاري الذي قرئ قراءة أحادية أهملت التشكيل، وأوغلت فيما أسمته أيدلوجيا المروي على حساب جمالية الرسالة .

هل كان على وطار إذن أن ينقل نصه من ضيق الواقع الممكن إلى العجائبية ليلتفت الدارسون إلى تشكيله وجماليات فنه ؟ أم كان عليه أن يغمر نصه في لجة تعالقات نصية تجعل المتلقي والناقد على حد سواء يتوه في تحديد هويته، ومن ثمة عدم وصف كتاباته بالأيديلوجيا ؟ المؤكد أن أدواته المستعملة في النص تفي بالغرض لاسيما التناص إذ يمكن الحديث عن أوجه أربعة للتناص في روايته ؛ تناص تاريخي وتناص ديني وتناص أدبي و تناص سياسي .

٤,١ التناص التاريخي: نجد العديد من الروائيين العرب المعاصرين يعتمدونه لأهداف دلالية وأسلوبية.

يعدّ _ إذن _ الاستناد على الشخصيات والأحداث التاريخية آلية هامة في فهم الحاضر باستنطاق الماضي .وهذا سيرا على مقولة التاريخ يعيد نفسه ومؤكد أنه يعيد نفسه بصورة مختلفة . فبلارة، ومالك بن نويرة ، ابن مجّاعة شخصيات تاريخية ينسج من خيوطها شخوصه التي بها يرقب الواقع ويستشرف المستقبل.

لعل أهم تعالق نصي تاريخي محوري في الرواية يقوم بإدانة التاريخ الإسلامي :

مالك بن نويرة يا كبدي خدعت ايها الشاعر الممتع بالجمال(١٢)

حسم الجزء السابق من الثلاثية القضية التاريخية لما يراجعون االتاريخ مبرئين ابن نويرة من تهمة الردة فيحاول النص مستندا على التناص تفكيك وحدات التاريخ، وعدم التسليم بالوحدات التاريخية وكأن الشخصيات تريد القول أن التاريخ لا يصدق بكل شيء يقوله وعلى الإنسان أن يقدم دور الناقد للبنيوي للتاريخ(١٣) .

يدعونا وطار الى التحلي بالنباهة التي افتقدت في تاريخنا العقلي سلفا، يدعونا إلى التحلي بها في زمن الفتن هذه، ويحيلنا إلى ضرورة عدم التكفير والتشكيك في ما تحويه الصدور كما حصل سابقا في الحادثة التاريخية الآنفة الذكر .

أما التناص التاريخي الثاني فهو في استحضار ضمني لشخص سجاح التي أثارت فتنة في المقام حين بدت جنية عجز عن تحديد هويتها، أهي أم متمم (ارتمت في أحضانه تراءت

له أم متمم تضع القدر على رأس زوجها ثالث الأثافي .تراءت له سجاح تختلي بمسيلمة فتمنحه نبوتها .تذكر المائتي بنت المسحورات ...)[١٤]

حيرة الولي الطاهر في تحديد الجنية ليس إلا تجليا للحيرة التي ألقت بضبابيتها في زمن الفتنة الذي ميز عشريتنا الحمراء ولعل القرينة الدالة على ذلك قولها : احذرك يا مولاي من سفك دمي[١٥]

بدأت الفتنة بقطرة دم عن غير وجه حق . ولعل الطاهر وطار أرسى حيرته عند بلارة بما في تاريخها من سؤدد وعظمة ومجد للدلالة على مدى إغوائها وفتنتها لكل وصولي تبلعه الفتنة . وعمل الولي الصالح على الصمود أمام هذه الفتنة بحسه الصوفي وتكرار أوراده وصلواته في المقام .

٤. ٢ التناص الديني

تجلى في الرواية في شخص الولي الطاهر وملامحه الدينية فهو لا ينطق إلا بذكر الله ووسيلته أتانه العضباء وهو ذاته اسم ناقة الرسول عليه الصلاة والسلام . ولغته الدينية المتعالقة نصيا مع الذكر الحكيم وهو كثير في الرواية سواء بالتوظيف اللغوي المباشر للنص القرآني، أو بتوظيفه سياقيا والأثر النبوي الشريف تعالق نصي آخر ومثاله تناص الإهداء مع حديث رسول الله (ص) " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الإيمان."[١٦].

وهنا نشير إلى أن الاستشهاد بالحديث عند المتصوفة كان من بين الأدوات المهمة عندهم من أجل إقامة الحجة على شرعية ما يقومون به، وممارساته الدينية الكثيرة. ثم يصبح القلم أقوى الإيمان مما يخرج المتناص عن دلالته المتعارفة ويمكن الراوي من التأسيس لمشروعه التجريبي الغير نمطي، والممارسات الدينية هي ذاتها تعالقات نصية دينية وانطلق يؤدي ركعتي تحية المقام والملائكة [١٧]

ولسانه يلهج بالدعاء .ولا بد وأن اتكاءه على الشخصيات الدينية من احمد ابن حنبل إلى محمد بن عبد الوهاب، يدل على منح نصه مرجعيته التاريخية الدينية، خدمة لمقصديته

المتمثلة في استشراف الغد عن طريق التفحص النقدي لبنية الأمس لاسيما المسكوت عنه أو الملفق .

٤. ٣ التناص الأدبي

ومنه تناص مع نصوص المبدع ذاته كما وشت به تأشيرة عبور إذ يقول "في الشمعة والدهاليز ظهر الولي باسم سيدي بولزمان . وهو الذي حرك أحداث الرواية .....[١٨]"

الإهداء : أهدى " وطار" روايته إلى الشاعر الفلسطيني " سميح القاسم"، وهو رمز من رموز الثقافة العربية الإسلامية أوصوت مدوي في سماء الإبداع والكتابة المقاومة والإهداء جاء محمّلا إذن برؤاه ومواقفه الإلتزامية من قضايا أمتّه ووطنه شأنه شأن سميح القاسم .

ولعلي ألحظ أيضا تناصا من نوع آخر وهو:

٤,٤ التناص السياسي :

هذه التعالقات التي حفل بها النص ناهلا من التاريخ السياسي للأمة ومن الراهن الموجود وتجلى في :

- المراسل البطل عبد الرحيم فقراء وهو مراسل الجزيرة المعروف واعتقد أن الروائي اختار هذا المراسل دون غيره لاعتبارات سيميائية اسمه عبد الرحيم وواقعنا العربي كله أسى ينتظر رحمة الله وكلنا في الأخير عبيد للرحيم الفقراء إلى رحمته .
- التواجد الحكائي أو الطوف حول بؤر التوتر السياسي في العالم الإسلامي كأفغانستان رام الله .
- محاكمة الرئيس صدام حسين وتشظي الواقع وتشفير المحاكمة حتى تصير المستحيل الذي كان ينبغي أن يكون .
- القضية الفلسطينة غير أنه تناولها تناولا سياسيا غير مسبوق من روائي استشرف المستقبل وأوغل في فضح ممارسات الحكم الذاتي .

- تفتيت الواقع السياسي العربي وتجزئته إذ أنه تناول كل وطن عربي على حدا ونقد المجتمعات نقدا سوسيولوجيا سيكلوجيا .واستشرف الزمن العربي الخالي من النفط

خاتمة

المؤكد أنّ ضيق المقام يثنينا عن التناول الأعمق لما حوته الرواية ذات المحمولات الجمالية التي تصدت للايدولوجيا لتخرجها من شعاريتها وتقريريتها، وتحرج السجال السياسي بسياج التخييل السياسي الذي حاولنا مقاربته من خلال استنطاق وسائله الحداثية كالتناص بنوعيه التاريخي والأدبي واستلهام الأقنعة .

وحاول وطار أن يكون في نصه دون أن يقول وأن يتركنا نلهث خلف الخيوط التي تظل غير قابلة للجمع إلا بتقنية الاستشراف والتوقع .

المؤكد أنّ ضيق المقام يثنينا عن التناول الأعمق لما حوته الرواية ذات المحمولات الجمالية التي تصدت للايدولوجيا لتخرجها من شعاريتها وتقريريتها، وتحرج السجال السياسي بسياج التخييل السياسي الذي حاولنا مقاربته من خلال استنطاق وسائله الحداثية كالتناص بنوعيه التاريخي والأدبي واستلهام الأقنعة .

وحاول وطار أن يكون في نصه دون أن يقول وأن يتركنا نلهث خلف الخيوط التي تظل غير قابلة للجمع إلا بتقنية الاستشراف والتوقع .ويمكن أن نخلص إلى ما يلي :

١- في التقاء السياسة بالأدب والرواية - باعتبارها خطاب سردي نثري ألصق بالحياة - يبرز نمطين أو لونين فنيين وهما : الرواية السياسية ورواية التخييل السياسي .

٢- تستند رواية التخييل السياسي على جماليات أدواتها المستعملة كالأقنعة والرموز والاستعارات مبتعدة عن كل طرح شعاري ايديلوجي او خطابية سجالية .

٣- رواية التخييل السياسي اعتمدت محاورة التاريخ بإسقاطه على الحاضر في جدل فني واضح بين الماضي والحاضر .متحررة من قيد اللهاث خلف الأحداث والمرحلية كما الشأن في الروايات السياسية

٤- اعتمدت رواية التخييل السياسي على أسلوبية مغايرة ارتكزت على المقارنة والمعارضة والسخرية والتهجين والفنتازيا ومباغتة المتلقي .

٥- وظف الروائي أحداثا تاريخية إسلامية، وظفها بشكل حواري تصحيحي . وتسربل في روايته ككل بفكر صوفي جعلنا نعبر نصه إلى مقامات الصوفية ومناخاتها

٦- المؤكد أن أدواته المستعملة في النص تفي بالغرض لاسيما التناص إذ يمكن الحديث عن أوجه أربعة للتناص في روايته ؛ تناص تاريخي وتناص ديني وتناص أدبي وتناص سياسي.

وأتجرأ لأقول الرواية تنبأت بالربيع العربي الذي جاء بعد غيمة السواد الوطارية زمانا على عروبيتنا المتعبة

المؤكد أنّ ضيق المقام يثنينا عن التناول الأعمق لما حوته الرواية ذات المحمولات الجمالية التي تصدت للايدولوجيا لتخرجها من شعاريتها وتقريريتها، وتحرج السجال السياسي بسياج التخييل السياسي الذي حاولنا مقاربته من خلال استنطاق وسائله الحداثية كالتناص بنوعيه التاريخي والأدبي واستلهام الأقنعة .

وحاول وطار أن يكون في نصه دون أن يقول وأن يتركنا نلهث خلف الخيوط التي تظل غير قابلة للجمع إلا بتقنية الاستشراف والتوقع .

وفي الأخير لا يمكن إلّا أن نسلّم شارة التميّز والتّحول الناجع في الخطاب السّردي وفق مقتضيات الراهن ووفق تجديد سبل التشكيل الفني الجمالي للروائي الطاهر وطار استحقاقا لا تفضّلا من الدارسين . فمن اللاز إلى الولي الطاهر تموجات وفق المعطيات الإجتماعية ووفق تطور تلقي النص السّردي .

المصادر والمراجع

(١) محمد العباس، المناضل السياسي / مدخل للرواية السياسية في السعودية . الموقع الرسمي http://m-alabbas.com أخذ بتارريخ ٢٨ مارس ٢٠١٨.

(٢) جورج لوكاش ترجمة أمير سكندر، دراسات في الواقعية الأوروبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٢ ص ٣٠ – ٣١

(٣) جميل حمداوي، الرواية السياسية ورواية التخييل السياسي . موقع ديوان العرب http://www.diwanalarab.comأخذ بتاريخ ٣٠ مارس ٢٠١٨

(٤) ينظر المناضل السياسي مدخل إلى الرواية السياسية في السعودية مقال سابق

(٥) الرواية السياسية والتخييل السياسي جميل حمداوي /مقال سابق

(٦) الدكتور ابراهيم عباس، الرواية المغاربية: الجدلية التاريخية والواقع المعيش، دراسة في بنية المضمون.المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والاشهار ٢٠٠٢ ص ٣٣

(٧) ممدوح الزوبي، معجم الصوفية، دار الجيل بيروت ط١ ٢٠٠٤ ص/ ٤٢٤

(٨) المرجع نفسه، ص ن

(٩) الطاهر وطار، الولي الصالح يعود إلى مقامه الزاكي، منشورات الزمن الرباط الطبعة الاولى ٢٠٠٥ ص ١٤ .

(١٠) محمد مفتاح، دينامية النص : المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، ١٩٩٠، ص ١٢٩.

(١١) من ربات العقل والرأي وعلو الهمة وكرم الشمائل، ولدت بالمهدية، وعني والدها بتربيتها تربية عربية قوامها العلم والدين، ولما شبت رغب الأمراء في خطبتها فخطبها ابن عمها الناصر بن علناس الصنهاجي صاحب قلعة بني حماد وبجاية فزوجها والدها من ابن عمها وقد أمهرها ابن عمها ثلاثين ألف دينار ذهباً فأخذ والدها من ذلك المبلغ الجسيم ديناراً واحداً ورد الباقي. وفي سنة ٤٧٠هـ أدرجت العروس من المهدية في عسكر كثيف ومعها من الجهاز والحلي والنفائس مالا يحد ولا يعد وزفت إلى الناصر في أبهة يقصر دونها الوصف، وابتنى لها بقلعة بني حماد وبجاية قصوراً شامخة وأحاط بها الحدائق الأنيقة، واختصت الأميرة بلارة لإقامتها إيواناً بقلعة بني حماد اشتهر باسمها وعرف بقصر بلارة، وقد محا اليوم محاسنه الزمان وطمس رسمه الحدثان

(١٢) رواية الولي االصالح يرفع يديه بالدعاء .الطاهر وطار موفم للنشر ٢٠٠٥ ص ١١

(١٣) سعاد عبد الله العنزي، صور العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة دار الفراشة الكويت ط١ ٢٠١٠ ص ١٨٨

(١٤) الرواية ص ١٣

(١٥) م ن . ص ن

(١٦) الإمام أبي زكرياالنووي، شرح رياض الصالحين، دار الرشاد الحديثة، "ص ٦٦

(١٧) الرواية ص ١٦

(١٨) الرواية ص ٧-٨